جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

# مواطن ذكر (الرحمن) في القرآن الكريم وأثر السياق في فهم دلالته

إعداد

**د. محمد عبد الحليم أبو عرب**

دكتوراه العلوم اللغوية ـ كلية الآداب جامعة حلوان جامعة الأزهر

( العدد الخامس والثلاثون )

( الإصدار الثاني .. أكتوبر )

( ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م )

علمية ـ محكمة ـ نصف سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

# مواطن ذكر (الرحمن) في القرآن الكريم وأثر السياق في فهم دلالته

**محمد عبد الحليم أبو عرب**

**دكتوراه العلوم اللغوية، كلية الآداب، جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية.**

**البريد الالكتروني: dmaaa2019@gmail.com**

**الملخص:**

للسياق أثر في توجيه دلالة النصوص، قد التفت إليه المفسرون واللغويون من قديم؛ من لدن حديثهم عن أسباب النزول، ومن المعلوم أن أسباب النزول داخلة في جملة ما يسمى السياق الخارجي، وللغويين عناية خاصة بالسياق اللغوي أو ما يسمى بالسياق الداخلي للنص، وهذا ما أحاول الوقوف عليه في هذه الدراسة متوجهًا قِبَل لفظ قرآني شريف؛ هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، متتبعًا سياقه اللغوي الذي ورد فيه بوصف اختيار ذلك الاسم والعدول عن غيره من أسماء الله الحسنى اختيارًا أسلوبيًا يوضح السياق دلالاته؛ ذلك الاسم هو "الرحمن".

**الكلمات المفتاحية** : السياق، الدلالة، القرآن الكريم .

# A citizen mentioned (Rahman) in the Holy Qur'an and the impact of the context in understanding its significance

**Mohamed Abdel Halim Abu Arab**
**PhD in Linguistics, Faculty of Arts, Helwan University, Arab Republic of Egypt.**
**Email: dmaaa2019@gmail.com**

**Abstract:**
The context has an impact on guiding the meaning of texts. Commentators and linguists have paid attention to it since ancient times. From their talk about the reasons for revelation, and it is known that the reasons for revelation are included in the sentence of what is called the external context, and linguists pay special attention to the linguistic context or what is called the internal context of the text. It is one of the most beautiful names of God Almighty, following its linguistic context in which it was mentioned by describing the choice of that name and the abandonment of other beautiful names of God, a stylistic choice that clarifies the context for its connotations. That name is "Rahman".

**Keywords:** Context, Significance, The Holy Quran.

## مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله.

ففي هذا البحث أحاول الكشف عن دلالة لفظ "الرحمن" في القرآن الكريم من خلال النظر في سياقاتها اللغوية التي وردت فيها، بتتبع ورودها في القرآن الكريم تتبعًا مبنيًا على سؤال يتكرر بتكرر هذا الاسم الشريف، هو: لماذا عُدِل عن غيره من أسماء الله تعالى إلى هذا الاسم؟، ولم جاء في السورة التي ورد فيها؟، ولم استُعمل في موضعه من السورة؟.

وقد انتمى منهج البحث بذلك إلى المنهج الإحصائي الاستقرائي، حيث يتتبع جميع مواطن ذكر اسم "الرحمن" في القرآن، فهو ينتمي إلى المنهج الإحصائي، ويحاول من خلال هذه المواطن جميعها الوصول إلى دلالة لفظ "الرحمن"، فهو بذلك يتبع المنهج الاستقرائي.

وينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، يليها قائمة المصادر والمراجع؛ ففي المقدمة بيان لمنهج البحث ومحتوياته، وفي التمهيد تعريف بمقصد هذه الدراسة، ثم يتطرق المبحث الأول لأثر السياق في فهم الدلالة القرآنية بوجه عام، ويتناول المبحث الثاني: مواطن ذكر (الرحمن) في القرآن وأثر السياق في فهم دلالتها، وفي المبحث الثالث تناول لبعض أسرار اختيار اسم (الرحمن) في سياقاته المختلفة، وفي الخاتمة بيان لأهم نتائج البحث، وختمت البحث بفهرس للموضوعات.

**تمهيد**

يعد التحليل اللساني المعاصر وسيلة لاستجلاء مقاصد النصوص وبيان دلالاتها، إذ لا شك أن التلقي له سهمة في بيان الدلالة، تتضافر مع إنشاء النص لأداء غرض رئيس من الإنشاء والتلقي جميعًا، ذلك الغرض هو مقصد النص، وثمة اهتمام بالمقاصد القرآنية على وجه الخصوص منذ نزل القرآن الكريم على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم .، إلى يوم الناس هذا، وقد تباينت طرق التلقي لهذا النص الكريم بتباين ما ينتجه العقل البشري من وسائل التحليل، وأدت وسائل التحليل اللغوي للنص القرآني على اختلافها وتنوعها إلى ما يمكن أن نسميه (توليد دلالات) لا يمكن أن ينفرد بها متلقٍ واحد، أو يبينها نمط واحد من أنماط التناول، فتتكامل إذن تلك المناهج والرؤى التحليلية لبيان مقاصد النص والكشف عن دلالاته.

وقد استحدثت المدارس اللغوية الحديثة طرقًا للتحليل منها ما اتجه إلى التناول الأسلوبي ومنها ما اتجه إلى السياق سواء السياق اللغوي أو السياق الخارجي، وما نتج عن ذلك من التناول التداولي، وصولًا إلى علم اللغة النصي.

وتتابعت دراسات عدة للنص القرآني لكل منها وجهة قد تختلف عن أختها في طرق التناول، لكن يمكن القول باتحادها جميعًا في الهدف الذي يطلب بيان مقصد النص من خلال البحث في دلالته.

وأرجو من خلال هذه الدراسة أن أبين بعض آثار التناول اللساني للنص القرآني في بيان مقاصده، من خلال التطبيق على بعض المواطن التي تسهم الرؤى اللسانية الحديثة في بيان دلالتها، ومن ثَمّ العلم بمقاصد النص.

**المبحث الأول: أثر السياق في فهم دلالة النص القرآني**

للسياق أثر في توجيه دلالة النصوص، قد التفت إليه المفسرون واللغويون من قديم؛ من لدن حديثهم عن أسباب النزول، ومن المعلوم أن أسباب النزول داخلة في جملة ما يسمى السياق الخارجي، وللغويين عناية خاصة بالسياق اللغوي أو ما يسمى بالسياق الداخلي للنص، وهذا ما أحاول الوقوف عليه في هذه الدراسة متوجهًا قِبَل لفظ قرآني شريف؛ هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، متتبعًا سياقه اللغوي الذي ورد فيه بوصف اختيار ذلك الاسم والعدول عن غيره من أسماء الله الحسنى اختيارًا أسلوبيًا يوضح السياق دلالاته؛ ذلك الاسم هو "الرحمن".

"ويعد السياق من القرائن المعنوية المهمة"[١] ، "ويقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها"[٢] ، ولعل لعلوم القرآن سبقًا في هذا الميدان؛ إذ أكثر علماء التفسير القول في أسباب النزول ، "فمن المعروف أن هناك ظروفًا خاصة نزلت فيها الآيات"[٣] ، ولم تقف عناية القدماء على السايق الخارجي فحسب، بل شملت الالتفات إلى السياق الداخلي للآيات الكريمة بالنظر فيما يسمى بعلم المناسبة الذي عني . على وجه التفصيل . بمناسبة السور مطالعها ومقاطعها، ومناسبة الآيات بعضها ببعض، وكذا مناسبة اللفظ لمعناه في موضعه الذي جاء فيه.

ويعد الوقوف على مواضع استعمال (الرحمن) في القرآن وبحث أسباب اختيار ذلك اللفظ والعدول عن بدائله، تناولًا أسلوبيًا لتلك الظاهرة في النص القرآني، إذ هو من العناية بـ(الانتقاء أو الاختيار أو الانحراف أو العدول)، وتلك هي المعالجة

١ ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د كمال بشر ، ص٥٦ .

٢ د نادية رمضان النجار : القرائن بين اللغويين والأصوليين ، ص٣٧٥ .

٣ د مصطفى ناصف : مسئولية التأويل ، دار السلام ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ص٣٣ .

الأسلوبية في جوهرها، إذ الأسلوبية "دراسة للتعبير اللساني"[١]، وليس العدول عن أسمائه الحسنى الأخرى واختيار اسمه الرحمن إلا إجراءً أسلوبيًا تتبين من خلال النظر فيه موائز النص الأسلوبية ومن ثم دلالته، وهذا الانتقاء كذلك مبين لقصد المنشئ الذي جعله يستعمل لفظًا مخصوصًا في مكان مخصوص، فالعلامة اللغوية مرهونة بالقصد، الذي يبينه بالضرورة استعمال كل علامة لغوية في مكانها، "وإن هذا ليعني أن الاستعمال والقصد يخرجان (العلامة اللغوية) حتمًا من المصادفة إلى التواضع اتفاقًا، ومن غيبة التعليل والتبرير إلى عقلانية العلاقة بين الدال والمدلول، ومن العشوائية تكوينًا إلى النظام ملاءمة للنظام. وإن هذا ليعني أن مستعمل اللغة ومنجز الكلام إذ يضع عليها رحال اختياره (والاختيار قصد)، يدخلها في علاقة مع أخرى تفصح عن نفسها بها في إطار الكلام، فإنه يسند إليها وظيفتين لا تظهران إلا من خلال دالها وتكونان عليه شهودًا. هاتان الوظيفتان هما: الوظيفة المائزة والوظيفة الإعلامية"[٢]. فاللفظ علامة لغوية دالة على معنى يختلف بالضرورة عما يدل عليه لفظ آخر، فثمة علاقة بين كل لفظ وما يشير إليه، فبين العلامة اللغوية والدلالة علاقة إشارية، "وتظهر العلاقة الإشارية عندما تعيِّن الإشارة شيئًا من الأشياء. وخير مثال على ذلك إشارات المرور. فالضوء الأحمر إشارة للوقوف، والضوء الأخضر إشارة للانطلاق، وما كان ذلك ليكون لو لم تكن ثمة علاقة سببية أقامها الاصطلاح والتواضع بين الإشارة ومرجعها. وتصبح هذه الإشارة أكثر وضوحًا عندما تعيِّن، على وجه الخصوص، شيئًا من الأشياء أو حدثًا من الأحداث، أو سمة من السمات المادية. ويمكننا القول، بمعنى آخر: إن الإشارة

١ الأسلوبية: بيير جيرو: ترجمة د منذر عياشي، دار أمل الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠٢٠، ص١١

٢ السيمياء (السيمولوجيا) قراءة في العلامة اللغوية العربية: د منذر عياشي: دار أمل الجديدة، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٨، ص١١٥

تعيِّن الواقع غير اللغوي الذي تشترك معه، وتظهره، وتدل عليه دلالة ذاتية"[1]. فاستعمال لفظ ما إذن هو إجراء أسلوبي دال بالضرورة على قصد المتكلم، وهو في الوقت نفسه إجراء لازم أو مُسيّر إلى حيث يقود السياق . إن جاز التعبير .، إذا قاربنا بين مصطلحي: السياق ومقتضى الحال، إذ قد يفرض السياق اختيار المتكلم وقد يفسره في آن، ذلك أن الكلام الذي لا يناسب سياق وروده معيب ولا بد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المتلقي يلجأ إلى السياق بوصفه وسيلة للإفهام أو لبيان دلالة الكلام، فالسياق ذو سلطتين؛ تسهم إحداهما في إنشاء النص ابتداءً، وتسهم الأخرى في بيان دلالته للمتلقي والوصول إلى مقصده.

فالأسلوب إذن ليس منعزلًا عن السياق، وليس السياق ببعيدٍ عن الأسلوب، وفي ضوء ذلك التناول البيني أحاول الكشف عن دلالة لفظ من ألفاظ القرآن الكريم وقصد القرآن الكريم من انتقاء هذا اللفظ على وجه الخصوص؛ هذا الانتقاء الذي يعد اختيارًا أسلوبيًا يمثل في الوقت نفسه عدولَ المنشئ عن غير اللفظ أو التركيب المختار، وهذا الاختيار من جهة أخرى تتحدد دلالته من خلال النظر في سياقه، سواء السياق اللغوي أو السياق الخارجي.

ولئن تتبعنا ورود اسم من أسماء الله الحسنى، هو (الرحمن)، في القرآن الكريم من خلال سياقه في كل موضع جاء فيه، وما يدل عليه في سياقه، فأرجو أن يسهم هذا التناول اللساني في بيان دلالة هذا الاسم وبيان مقصد القرآن من استعماله أو محاولة الوصول إلى بعض مقاصده . إن صح التعبير. .

١ الأسلوبية وتحليل الخطاب: د منذر عياشي: دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١٥، ص٦٦

**المبحث الثاني: مواطن ذكر (الرحمن) في القرآن.**

**سورة الفاتحة:**

جاء اسم (الرحمن) في سورة الفاتحة مرتين؛ مرة في البسملة؛ إذ هي آية منها، ومرة في قوله تعالى: (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) {الفاتحة/٣}.

فتكرر الوصف بـ(الرحمن الرحيم) في سورة الفاتحة مرتين متتاليتين لا يفصل بينهما إلا آية واحدة، وفي ذلك إعلان لسعة رحمته . سبحانه وتعالى .، يقول القرطبي: "قوله تعالى: (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) وصف نفسه تعالى بعد (رَبِّ الْعَالَمِينَ) بأنه (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)؛ لأنه لِما كان في اتصافه بـ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ترهيب قَرَنه بـ (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه؛ فيكون أعون على طاعته وأمنع؛ كما قال: (نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {٤٩} وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ) {الحجر/٥٠}، وقال: (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ) غافر/٣، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال: "لو يعلم المؤمنُ ما عند الله من العقوبة ما طمِع بجنته أحدٌ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قَنِط من جنته أحد"[١]، ولعل في بدء الكتاب العزيز باسم الرحمن بيانًا لسعة دلالة ذلك الاسم؛ إذ الفاتحة هي أم الكتاب، فيناسبها أن تفتتح بأعظم أسماء الله تعالى.

كما أن (الرحمن) ـ بما تقرر في سورة الفاتحة . هو مالك يوم الدين، وهو المعبود الحق، الذي لا يُتوَجه بالعبادة لسواه، وهو المعين الذي لا يُستمَد العون إلا منه؛ (إياك نعبد وإياك نستعين)، وهو الهادي لسبل الخير وإلى صراط الله المستقيم، كما تقرر في آخر آيات سورة الفاتحة.

١ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١/ ١٤١ .

**سورة البقرة:**

ورد ذكر اسم (الرحمن) في سورة البقرة مرة واحدة في قوله تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) {البقرة/١٦٣}.

ونجد في هذه الآية ما يفيد ارتباط اسم (الرحمن) بمعنى الألوهية، ودلالته عليها، فـ(الرحمن) إخبار عن (إلهكم)، يقول الألوسي في تفسيره تلك الآية: "(الرحمن الرحيم) خبران آخران بعد خبر أو خبرين لقوله تعالى: (وَإِلَهُكُمْ) أو لمبتدأ محذوف والجملة معترضة، أو بدلان على رأي وجيء بهما لتمييز الذات الموصوفة بالوحدة عما سواه وليكون الجواب موافقًا لما سألوه، وفي ذلك إشارة إلى حجة الوحدانية لأنه لما كان مولى النعم كلها أصولًا وفروعًا دنيا وأخرى وما سواه إما خير محض أو خير غالب، وهو إما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره لاستواء الكل في الاحتياج إليه تعالى في الوجود وما يتبعه من الكمالات"[١].

فنفهم من كلام الألوسي أن الرحمن في الآية الكريمة مبين لصفات الإله الحق سبحانه وتعالى، وأنه مفيدٌ معنى الإله المستحق للعبادة بإقرار خلقه احتياجهم إليه واستغناءه تعالى عنهم، وتفضله عليهم بالإيجاد والإنعام.

وإذا عُدّ (الرحمن) في الآية بدلًا كما تقرر، فمعناه أنه المعبود الحق الذي لا تصح العبادة إلا له، وذلك معلوم من دلالة القصر في قوله تعالى قبلها: (لا إله إلا هو)، فكأن الرحمن يختص بصدقه على معنى تلك الجملة التي هي ركن الإسلام الأول وركيزة الإيمان الكبرى.

١ روح المعاني، الألوسي: ٢/ ٥٩٠ .

**سورة الرعد:**

ذُكر اسم (الرحمن) في سورة الرعد مرة واحدة في قوله تعالى: (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) {الرعد/٣٠}.

وتلك الآية واضحة في الدلالة على معاني اسم (الرحمن)، إذ تبيِّن الآية في مطلعها أن الله تعالى أرسل رسوله ليتلو الذي أوحي إليه من ربه الرحمن، وأنه . صلى الله عليه وسلم . سيواجَه بكفر الكافرين بالرحمن، وهو إذ ذاك مأمور أن يبلغ ما أوحى الله إليه مبينًا للناس من هو الرحمن؛ فيقول: هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ، ومن خلال هذا الجواب الذي أمر الله نبيه ببلاغه، ومن خلال ما بدأت به الآية من بيان سبب النبوة والوحي، وهو تبيين ذلك الوحي للناس، يتعين أن يكون جواب كفرهم بالرحمن إعلامهم بمن هو الرحمن؛ إذ جاء قوله: قُل هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ، بعد الإخبار بكفرهم بالرحمن دالًا على أن قول النبي جوابُ سؤالٍ دعاهم إليه كفرهم، وقد ذُكِر سؤالهم هذا في موضع آخر في سورة الفرقان، وهو قولهم: وما الرحمن؟، فجاء جواب النبي الذي أُمِر ببلاغه، وكذلك وحي الله الذي أُمِر بتلاوته عليهم إجابةً لسؤالهم الذي سألوه استكبارًا: (وما الرحمن؟).

فالرحمن إذن من خلال ما أوحي في هذه السورة الكريمة هو مُنزِل هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يدل على ذلك قوله تعالى في مطلع السورة: (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ) {الرعد/١}، وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) الرعد/٣٧.

والرحمن هو الخالق البديع الذي أحسن كل شيء خلقه، ويدل على ذلك قوله تعالى: (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ

تُوقِنُونَ {٢} وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {٣} وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) {الرعد/٤}.

والرحمن هو غافر الذنب وهو شديد العقاب، دل على ذلك قوله تعالى: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) {الرعد/٦}.

والرحمن هو العليم الذي يعلم السر وأخفى، دل على ذلك قوله تعالى: (اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ {٨} عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ {٩} سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) {الرعد/١٠}.

والرحمن هو الحفيظ، وقد تكرر ارتباط دلالة الرحمن بحفظ عباده كما في قوله تعالى في سورة يوسف: (فالله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين)، ودل على هذا المعنى في سورة الرعد قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) {الرعد/١١}.

وهو القدوس الذي تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن، دل على ذلك قوله تعالى: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلآئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) {الرعد/١٣}، وقوله تعالى: (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ {١٥} قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ) الرعد/١٦.

والرحمن هو القابض الباسط الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، دل على ذلك قوله تعالى: (اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ) {الرعد/٢٦}.

والرحمن هو مرسل الرسل بالهداية للناس، دل على ذلك قوله تعالى: (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) {الرعد/٣٠}، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) {الرعد/٣٨}.

والرحمن هو الوكيل إليه يلجأ العباد، وهو التواب إليه يرجع العباد منيبين مخبتين، دل على ذلك قوله تعالى: (قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) {الرعد/٣٠}.

**سورة الإسراء:**

جاء ذكر اسم (الرحمن) في سورة الإسراء مرة واحدة في قوله تعالى: (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) {الإسراء/١١٠}.

ولعل في تلك الآية ما يدل على أن (الرحمن) اسم دال على صفات هذا الإله المستحق للعبادة، لأن العبد إذ يؤمر بدعائه تعالى، فإنه داعيه باسم دال على استحقاقه للعبادة، ودال كذلك على ملكه وقدرته، لأن الداعي متحقق بالفقر له متلَبِّس بالحاجة إليه في حال دعائه، ولا يمكن أن يدعو في تلك الحال إلا غنيًا قويًا قادرًا، فمن البداهة أن يُفهم من تلك الآية على وجه الخصوص أن اسم (الرحمن) دال على أمارات ألوهيته . سبحانه وتعالى .، وإن لم يكن كذلك فما دلالة الأمر بدعائه بهذا الاسم؟!. إن الأمر بالبلاغ في الآية (قل)، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المبلِّغ (ادعوا)، فيهما دلالة بالضرورة على أن اسم الرحمن دال على معاني الألوهية وأنه كلفظ الجلالة (الله) في خصوصية دلالته عليه . جل جلاله .، وأنه الاسم الذي لا يكون إلا لله خالصًا من كل تشريك بينه وبين عباده، وإن دق، فلئن صح أن يكون عبد من عباد الله رحيمًا أو كريمًا أو حليمًا أو رؤوفًا أو غير

ذلك من صفات الله العُلى التي قضى أن تكون من عطاياه لبعض عباده، فإن اسمه الرحمن دال عليه من غير تشريك في ذلك اللفظ الشريف بينه وبين أحد من خلقه.

وإن آيات سورة الإسراء منبئة بالضرورة عن دلالات لفظ (الرحمن)، فليس من المبالغة القول بأن آياتها تقديم للأمر (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)، وتعريف به في آن.

ولعل (أو) في هذا الأمر دالة على شدة التقارب بين اللفظين (الله، والرحمن) ولا بد، تقاربًا يقتضي صحة تناوب اللفظين حيثما كانا . مع احتفاظ كل لفظ منهما بأسرار دلالته في موضعه من القرآن . ، بخلاف كل اسم من أسمائه تعالى غير (الرحمن)، فإن كل اسم غيره دال على (الله) في سياقات بعينها، فإن جاوزها كان غيره من أسمائه تعالى أدل، كدلالة اسمه (الرحيم) على الرحمة، ودلالة اسمه (الغفور) على المغفرة، ودلالة اسمه (الجبار) على بطشه الشديد؛ ولئن شئنا أن نتبين فرق ما بين اسم (الرحمن) وسائر اسمائه تعالى، فلننظر في صياغة تراكيب النص القرآني عند ورود تلك الأسماء الحسنى، ليتبين لنا أن لكل اسم من أسمائه مواطن تناسب دلالته؛ فقوله تعالى: (غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) {غافر/٣}، يضاف كل وصف فيه إلى ما يناسبه، فإن خالفه إلى غيره فسد التركيب، ولو شئنا مزيدًا من الإيضاح، فإن افترضنا أن قارئًا للآية الكريمة وقع منه السهو فبدل ألفاظها بعضها مكان بعض لفسد المعنى وتبدّل، فإن دلالة (قابل الذنب) تكاد تقابل دلالة (غافر الذنب)، وقل مثل ذلك في سائر أسمائه الحسنى، سوى (الرحمن).

فإن تقرر لنا خصوصية دلالة اسم (الرحمن)، وتقرر لنا كذلك أن آيات سورة الإسراء موضحة للأمر الوارد في آخرها (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)، فمن الحكمة أن نتبيّن دلالة (الرحمن) من خلال آيات سورة الإسراء.

وقد دلت آيات سورة الإسراء على أن من معاني (الرحمن)، اللطيف الذي يفرج عن عباده الكرب، وهذا ظاهر في مطلع السورة الكريمة: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى

بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) {الإسراء/١}.

ومن معاني (الرحمن) أنه تعالى مرسل الرسل بالهدى ودين الحق، يبين ذلك قوله تعالى: (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً) {الإسراء/٢}.

ومن معانيها كذلك أنه تعالى عالم الغيب الذي بيده مقاليد كل شيء، وذلك ظاهر في قوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا {٤} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً {٥} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) {الإسراء/٦}.

ومن دلالات (الرحمن) أنه تعالى الحكم العدل، يدل على ذلك قوله تعالى: (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) الإسراء/٧، وقوله تعالى: (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا {٩} وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) {الإسراء/١٠}، وقوله تعالى: (مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) {الإسراء/١٥}.

والرحمن هو مُنزِل الكتاب، يدل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) الإسراء/٩، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا) {الإسراء/٤١}، وقوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا) {الإسراء/٨٢}، وقوله تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا {٨٨} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا) {الإسراء/٨٩}، وقوله تعالى: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) {الإسراء/١٠٦}.

والرحمن كذلك هو الخلّاق العليم القدير، يدل على ذلك قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) {الإسراء/١٢}، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إَلاَّ كُفُورًا) {الإسراء/٩٩}.

والرحمن هو القابض الباسط، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، جاء ذلك في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) {الإسراء/٣٠}.

والرحمن هو الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو، جاء ذلك في سورة الإسراء في قوله تعالى: (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً) {الإسراء/٤٢}، وقوله تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) {الإسراء/١١١}.

والرحمن هو العليم، دل عليه قوله تعالى: (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) الإسراء/٤٧، وقوله تعالى: (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً {٥٤} وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الإسراء/٥٥.

والرحمن هو الكريم المنعم، يدل عليه قوله تعالى: (رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا {٦٦} وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا) {الإسراء/٦٧}، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) {الإسراء/٧٠}.

**<u>سورة مريم:</u>**

جاء ذكر (الرحمن) في سورة مريم ست عشرة مرة، فلم يتكرر ذكر (الرحمن) في سورة من سور القرآن كما تكرر ذكره في سورة مريم، وإن يكن ذلك دالًا على شيء فلا شك أن سياق ورود (الرحمن) في السورة هو المبين لتلك الدلالة؛ وأول مواضع ذكرها قوله تعالى: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا) {مريم/١٨}،

وفي الاستعاذة بـ (الرحمن) دلالة على أن (الرحمن) قوي قدير حفيظ، فبقوته يدفع عن عباده أذى كل قوي قادر على الإيذاء، إذ هو أقوى من كل قوي، وهو سبحانه قادر على دفع الضر عن عباده، وهو الذي يحفظ عباده من أن ينالهم كيد أو أذى، لذا اقترن حفظه لعباده بكونه (أرحم الراحمين) في موضع آخر في قوله تعالى: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) {يوسف/٦٤}، كما جاء استخدام الرحمن هنا لأنه موطن لا ملجأ فيه إلا إلى الله تعالى، إذ كانت في مكان قصيٍّ لا يصل إليها فيه أحد إلا بعد حين، ولا يسمع نداؤها فيه إلا الله تعالى، فدعته باسمه الرحمن لأنه لا يُدعى به غيره.

ثم ورد اسم (الرحمن) في قوله تعالى: (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا) {مريم/٢٦}، "المراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك لا أن المراد به القول اللفظي لئلا ينافي (فلن أكلم اليوم إنسيًا) قال أنس بن مالك في قوله (إني نذرت للرحمن صومًا) قال: صمتًا وكذا قال ابن عباس والضحاك، وفي رواية عن أنس صومًا وصمتًا وكذا قال قتادة وغيرهما، والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام، نص على ذلك السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن إسحاق عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال: ما شأنك؟ قال أصحابه: حلف ألا يكلم الناس اليوم، فقال عبد الله بن مسعود: كلم الناس وسلم عليهم، فإن تلك امرأة علمت أن أحدًا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج، يعني بذلك مريم عليها السلام ليكون عذرًا لها إذا سئلت"[١]، وفي هذا دليل على استعانتها بالله تعالى واحتمائه به جل وعز، إذ قالت: (نذرت للرحمن) أي: استعانة به وإعلانًا لعبوديتي له تعالى، إذ هو وحده المستحق للعبادة. ومن دلائل ذلك أن جاء بعد هذه الآية الكريمة ما يدل على وحدانية الحق سبحانه وتعالى ووجوب توجه الخلق إليه وحده بالعبادة الخالصة له، دل على ذلك قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ

١ تفسير ابن كثير ٣/ ١١٨.

سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ {٣٥} وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) {مريم/٣٦}.

ثم جاء ذكر (الرحمن) في قوله تعالى: (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا {٤٤} يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) {مريم/٤٥}.

فقوله (كان للرحمن عصيًا) دال على قبح الفعل، لأن (الرحمن) من شأنه أن يُعبد ويُطاع، فمن كفر بالرحمن وعصاه فإن كفره وعصيانه دلائل سفاهته وفساد أمره، يقول الألوسي: "وقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان أنه مستعص على من شملتك رحمته وعمتك نعمته، ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص، وكل من هو عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه، وللإشارة إلى هذا المعنى جيء بالرحمن، وفيه أيضًا إشارة إلى كمال شناعة عصيانه"[1].

وجيء بالرحمن في قوله (عذاب من الرحمن) للدلالة على أن الرحمن سبحانه جامع بين اللطف والقهر، يقول الألوسي: "وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) {الإنفطار/٦}، وإنما قال (مِّنَ الرَّحْمَنِ) لقوله أولًا: (كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)، وللدلالة على أنه ليس على وجه الانتقام بل ذلك أيضًا رحمة من الله تعالى على عباده وتنبيه على سبق الرحمة الغضب وأن الرحمانية لا تنافي العذاب، والرحمن الجامع بين اللطف والقهر"[2]. وكذلك فإن النذارة والتحذير من العذاب قبل وقوعه لون من ألوان الرحمة، إذ يأتي التحذير لئلا يقع المنذَرون فيما يستوجب العذاب، ولو لم يكن رحمانًا رحيمًا لما أرسل رسله مبشرين ومنذِرين.

١ روح المعاني: ١٦/ ٥٧٩ .

٢ روح المعاني، ١٦/ ٥٨٠ بتصرف.

ثم جاء اسمه الرحمن في قوله تعالى: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) {مريم/٥٨}.

فانظر كيف سُبقت تلك الآية بتكرار ألفاظ (الرحمة) في قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) {مريم/٥٠} ، وقوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) {مريم/٥٣}، فإن تلك النصوص مبيّنة لبعض مظاهر رحمته سبحانه، ثم انظر في تلك الآية الموجِبة للسجود لله تعالى، تجد دلالة لفظ (الرحمن) على الإله العظيم الذي أرسل رسله بالهداية، وأنزل آياته الدالة على قدرته فاستحق أن يُعبد وأن إذا تُلِيَت على المرسلين والمؤمنين آياتُه خروا سجدًا وبُكيًا.

وجاء اسمه الرحمن في قوله تعالى: (جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) {مريم/٦١}. دالًا على عطاء الرحمن الممدود، "والتعرض لعنوان الرحمة للإيذان بأن وعدها وإنجازه لكمال سعة رحمته سبحانه وتعالى"[١].

ثم جاء اسم الرحمن في قوله تعالى: (ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) {مريم/٦٩}، وعتيًا "أي نبوًا عن الطاعة وعصيانًا"[٢]، والرحمن في هذا الموضع دالة على بلوغهم الغاية في نكارة عصيانهم، إذ من الفطنة أن يحسن العبد الاستجابة للرحمن لأنه أعد للمحسنين جنات النعيم، ولأن رحمته وسعت كل شيء، فمن أطاعه فقد اهتدى، ومن عصاه فقد خسر وغوى.

ويعد قوله تعالى: (قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا) {مريم/٧٥}، امتدادًا لتقرير هذا المعنى المفهوم من الآية السابق ذكرها، وفيه أيضًا

١ السابق، ١٦/ ٥٩٩ .

٢ السابق، ١٦/ ٦٠٨

تأكيد على حكمة الرحمن من إمدادهم بأسباب التذكُّر إن أرادوا إحسانًا، قال الألوسي: "( فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) أي يمد سبحانه له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال والتمكن من التصرفات، فالطلب في معنى الخبر، واختير للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله تعالى: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ) فاطر/٣٧، فيكون حاصل المعنى: من كان في الضلالة فلا عذر له فقد أمهله الرحمن ومد له مدًا"[١].

وجاء اسم الرحمن في قوله تعالى: (أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) {مريم/٧٨}، وهذا سؤال إنكاري فيه تيئيس لمن كفر بآيات الله وقال لأوتينّ مالًا وولدًا، فليس لهذا نصيب من رحمة الله التي وسعت كل شيء لأنه لم يتخذ عند الرحمن عهدًا باستحقاق رحمته جل جلاله.

وقوله تعالى: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) {مريم/٨٥}، فيه إشارة إلى تكريمهم لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فكافأهم الله بأن أدخلهم في رحمته، كما عاقب الكافرين بآياته بطردهم من رحمته.

وجاء (الرحمن) قوله تعالى: (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) {مريم/٨٧}، "والمعنى: لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم إلا من اتصف منهم بما يستأهل معه أن يشفع وهو المراد بالعهد"[٢]، وفي ذلك امتداد للمعنى في الآية السابق ذكرها، وتأكيد لتنوع جزاء الطائعين، وتطاول آثاره الحسنة الموجِبة للرحمة في كل حال.

أما قوله تعالى: ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) {مريم/٨٨}، وقوله سبحانه وتعالى: (أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {٩١} وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا {٩٢} إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) {مريم/٩٣}، ففي ورود اسمه

١ الألوسي: روح المعاني، ١٦/ ٦١٩ .

٢ السابق، ١٦/ ٦٣٤ .

(الرحمن) أربع مرات في هذه الآيات دليل على فساد أمر الذين ساء قولهم وقبح شأنهم، إذ لم يقدروا الرحمن حق قدره، واتخذوا مع الله تعالى إلهًا غيره بعد ما رأوا الآيات والنُذر، وبعد ما عاينوا مظاهر قدرته وتفرده بالخلق والأمر، لذا "فما منهم أحد من الملائكة والثقلين (إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) أي إلا وهو مملوك له تعالى يأوي إليه عز وجل بالعبودية والانقياد لقضائه وقدره سبحانه وتعالى، فالإتيان معنوي، وقيل: هو حسي، والمراد: إلا آتي محل حكمه وهو أرض المحشر منقادًا لا يدعي لنفسه شيئًا مما نسبوه إليه وليس بذاك كما لا يخفى"[١].

وفي ختام السورة الكريمة جاء ذكر الرحمن في سياق البشرى للمؤمنين في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) {مريم/٩٦}، "أي مودة في القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح"[٢]. وقد خُتمت السورة بذكر الرحمن كما بُدئت بذكر الرحمة في قوله تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) {مريم/٢}، فالرحمن سبحانه الذي تجلى برحمته على المرسلين هو الذي يتجلى برحمته على عباده المؤمنين.

**سورة طه:**

جاء ذكر اسم (الرحمن) في سورة طه في أربعة مواضع؛ في قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) {طه/٥}، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) {طه/٩٠}، وقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا {١٠٨} يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) {طه/١٠٩}.

١ السابق، ١٦/ ٦٤٠ .

٢ السابق، ١٦/ ٦٤١ .

أما قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) {طه/٥}، "(الرحمن) رفع على المدح أي هو الرحمن"[١]، "ويجوز النصب على المدح، قال أبو إسحاق: الخفض على البدل، وقال سعيد بن مسعدة: الرفع بمعنى هو الرحمن، النحاس: يجوز الرفع بالابتداء، والخبر (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) فلا يوقف على (استوى)، وعلى البدل من المضمر في (خلق) فيجوز الوقف على (استوى)، وكذلك إذا كان خبر ابتداء محذوف، ولا يوقف على (العلى)"[٢]، وأميل إلى إعراب النحاس وإن كنت أرى أن الخبر قوله (على العرش استوى)، وقوله بعدها (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) حال من المضمر في (استوى)، أي الرحمن استوى على العرش مالكًا للسماوات والأرض وما فيهن، ويكون هذا هو معنى (الرحمن) الذي تقرره الآيات الأولى من سورة طه.

وقوله تعالى: (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي) {طه/٩٠}، فذكر (الرحمن) في هذه الآية إحالة إلى المعنى المقرر في أول السورة الكريمة، فقوله: (وإن ربكم الرحمن) أي اذكروا أن ربكم هو الرحمن الذي استوى على العرش له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، فكيف تتخذون مما خلق إلهًا وتذرون خالق كل شيء ومالك كل شيء؟.

وأما قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا {١٠٨} يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) {طه/١٠٩}، فإنه امتداد للمعنى الأول ولازم من لوازمه، لأن من له الخلق والملك هو القاهر فوق عباده فلا تسمع لأحد منهم ركزًا إذ يعرضون للحساب وجلة قلوبهم خاشعة أبصارهم وأفئدتهم هواء مما يرون من جلال الرحمن جل جلاله. قال الألوسي: "( وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) أي خفيت لمهابته تعالى وشدة هول

١ روح المعاني، ١٦/ ٦٥٥ .

٢ الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ١٥٤ .

المطلع، وقال ابن عباس . رضي الله عنهما .: سكنت"[١]، قال القرطبي: "فكل لسان ساكت هناك للهيبة (لِلرَّحْمَنِ) أي من أجله"[٢]. ومن رحمته أن يأذن لمن شاء من عباده بالشفاعة، فسبحان من له الجلال والكبرياء والعظمة ومنه العفو والغفران والرحمة، ذلكم الله ذلكم الرحمن!.

**سورة الأنبياء:**

ذُكر اسم (الرحمن) في سورة الأنبياء أربع مرات؛ في قوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) {الأنبياء/٢٦}، وقوله تعالى: (وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ) {الأنبياء/٣٦}، وقوله تعالى: (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ) {الأنبياء/٤٢}، وفي آخر آياتها في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) {الأنبياء/١١٢}.

فقوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) {الأنبياء/٢٦}، تلك آية وثيقة الصلة بأول السورة الكريمة، ولها ارتباط بما تقرر في أول السورة يكاد يكون هو المبين لدلالتها، إذ افتتحت السورة بقوله تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ {١} مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) {الأنبياء/٢}، فكان كالتقدمة لما ستقرره السورة الكريمة من ظلم بعض الناس أنفسهم وافترائهم على الله تعالى، ويبين بعض مظاهر هذا الظلم وتجليات ذلك الافتراء قوله تعالى في أول السورة: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) {الأنبياء/٧}، إذ توحي هذه الآية بأن بعض الناس افترى على الله بهتانًا أن الله اتخذ من عباده ولدًا، والله تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، فالمرسلون عباد الله، يرسل من اصطفى من الملائكة بوحيه لمن

١ روح المعاني، ١٦/ ٧٩٣ .

٢ الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ٢٢٤ .

اصطفى من البشر، وجميع المصطفين عباد الله، وهذا ما تقرره آية: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) {الأنبياء/٢٦}.

وقوله تعالى: (وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ) {الأنبياء/٣٦}، جاء فيه ذكر (الرحمن) في مقابل قولهم: (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ)، فكأنه يقول كيف تكفرون بالله وتؤمنون بآلهتكم مع كونهم لا يملكون لكم ضرًا ولا نفعًا.

وقوله تعالى: (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ) {الأنبياء/٤٢}، هو امتداد لما تقرر في الآية السابقة، إذ هو تدليل على ألوهية الحق تبارك وتعالى. كما يعد قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) {الأنبياء/١١٢}، تأكيدًا على عناية القرآن الكريم بمكاشفة المعارضين بالحجة التي تلفتهم إلى وجوب إيمانهم بالرحمن وكفرهم بآلهتهم المزعومة وانصرافهم عما يصفون، تعالى الله عما يصفون علوًا كبيرًا.

**سورة الفرقان:**

ورد ذكر اسم (الرحمن) في سورة الفرقان خمس مرات؛ في قوله تعالى: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) {الفرقان/٢٦}، وقوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا {٥٩} وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) {الفرقان/٦٠}، وقوله تعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) {الفرقان/٦٣}.

والمواطن الأربعة الأولى تؤكد كون الرحمن مالك الملك وخالق السماوات والأرض وما بينهما والمعبود الذي لا يكون السجود إلا له، فإذا تقرر ذلك وجب امتثال أمره واجتناب نهيه، لذا مدح عباده بحسن طاعته في آخر مواطن ذكر الرحمن في تلك السورة الكريمة.

**سورة الشعراء:**

جاء ذكر اسم (الرحمن) في سورة الشعراء مرة واحدة في قوله تعالى: (وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) {الشعراء/٥}.

وإن نستدع مع هذه الآية الكريمة قولَه تعالى في أول سورة الأنبياء: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) {الأنبياء/٢}، يتبين لنا أن ربنا الرحمن، وتلك هي الحقيقة الكبرى التي لا يزال القرآن مقررًا لها، كما في قوله تعالى في سورة طه: (وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ) طه/٩٠، والحق أن تلك الجملة على وجازتها تعبر عن مقصد رئيس من مقاصد النص القرآني، إذ جاءت بطريق الحصر؛ حيث إن طرفي الإسناد فيها معرفة؛ ومتى جاء المبتدأ والخبر كلاهما معرفتين أفاد ذلك الحصر، فتفيد جملة (إن ربكم الرحمن) معنى يتأدى بقولك: لا رب لكم إلا الرحمن، وليس الرحمن إلا رب العالمين، فإفادة الحصر مقصودة في هذين الجانبين: قصر الألوهية على الرحمن، فلا إله غيره، وقصر الرحمن على هذا الإله، فلا يسمى رحمانًا إلا هو. وهذا ما تقرره دلالة الآية في أول سورة الشعراء مع آية الأنبياء.

**سورة النمل:**

ورد ذكر اسم (الرحمن) في سورة النمل مرة واحدة في قوله تعالى: (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) {النمل/٣٠}، وتلك الآية دالة دلالة واضحة على أن الرحمن علم على الله سبحانه وتعالى، إذ هو الاسم الذي ينبغي له أن يقرع آذان من يُدعى للإيمان به سبحانه وهو أول ما يجب أن يعرفه المدعو إلى الله عن هذا الإله الأعظم جل جلاله.

**سورة يس:**

ذُكر اسم (الرحمن) في سورة يس في أربعة مواضع؛ في قوله تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) {يس/١١}، وقوله تعالى: (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ) {يس/١٥}، وقوله تعالى: (أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ

لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ) {يس/٢٣}، وقوله تعالى: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) {يس/٥٢}.

فظاهرٌ دلالة ختام الآية الأولى على معنى الرحمن وموافقتها له؛ إذ هو سبحانه الذي يبشر عباده بالمغفرة والأجر الكريم.

وفي الآية الثانية جاءت لفظة (الرحمن) حجة على المكذبين، إذ كيف يكفرون بالرحمن ويقولون: "وما الرحمن؟"، وهم يعلمون أنه الرحمن، وأنْ لا إله إلا هو؟، لأنهم لو لم يعلموا أنه الرحمن لما قالوا: "وما أنزل الرحمن من شيء".

وفي الآيتين الثالثة والرابعة إشارة إلى أن الرحمن غالب على أمره يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل، وهو سبحانه كذلك ينجز لعباده ما وعدهم به من النعيم جزاء طاعتهم، وما توعد به من العذاب على إعراضهم وكفرهم.

**سورة فصلت:**

ذُكر اسم (الرحمن) مرة واحدة في سورة فصلت في قوله تعالى: (تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) {فصلت/٢}.

وقد أوردت مناسبة ذكر اسم (الرحمن) في أول سورة فصلت في كتاب (حبك النص القرآني)، وجاء فيه: "بدأت سورة فصلت بقوله ـ تعالى ـ: (حم {١} تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) {فصلت/٢}.

والرحمن اسم تفرد به الله ـ تعالى ـ فلا يُسمى به غيره، ولذا جاء النص القرآني مسجّلا استكبار المعاندين في حكاية القرآن الكريم لقولهم: (وَمَا الرَّحْمَنُ) {الفرقان/٦٠}، وقد جاز وصف الرحيم للراحمين من البشر ووصف القرآن النبي به في قوله ـ تعالى ـ: (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) {التوبة/١٢٨}، أما الرحمن فهو اسم لله لا يوصف به غيره من سائر المخلوقات، فالرحمن "عَلَمٌ خاص به للدلالة على أنه لا نظير له ولا شبيه

في رحمته، إذ يعمّ بها الخلق جميعًا، حتى من نَكَل عن طاعته من خلقه"[١]، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "فقد لاحظ العلماء أن هناك عددًا من الصفات يختص بالذات الإلهية وحدها، ولا يصح وصف البشر بها، إما لأنها من صفات العظمة ومخالفة الحوادث فلا يصح وصف المخلوق بها، أو لأنها وإن كانت صفات محمودة في جانب الله فهي غير محمودة في جانب البشر، ويمكن التمثيل للنوعين بالأمثلة الآتية:

١. الرحمن: لا يطلق إلا على الله تعالى، بخلاف الرحيم الذي يمكن أن يطلق على الله وعلى غيره"[٢]، فالرحمن اسم لا يليق إلا بالمعبود "والعبودية لم تأت منسوبة إلى اسم من أسماء الله تعالى في القرآن إلا للأسماء العامة كلفظ الجلالة، ولفظ (رب) ولفظ (الرحمن)"[٣]، وهو وصف يتجاوز دلالة الرحمة إلى دلالات أوسع تشمل القدرة والهيمنة والقوة والبطش والعزة والعدل، ولذا لم نجد سورة في القرآن الكريم سُميت باسم من أسماء الله تعالى إلا سورة الرحمن، ووجدناها جامعة لنعوت الرحمة والقدرة والقوة والهيمنة والبطش والعزة والعدل، ولعل آيات سورة الرحمن تحمل هذه المعاني كلها، وهو أمر ظاهر غاية الوضوح لمن يتدبر آيات سورة الرحمن، وكذلك الأمر في سورة فصلت، فنجد من آياتها ما يدل على القوة كقوله . تعالى .: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً) فصلت:١٥، ومن آياتها ما يدل على الهيمنة كقوله . تعالى .: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) {فصلت/١١}، ومن آياتها ما يدل على الانتقام كقوله . تعالى .: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

١ سورة الرحمن وسور قصار عرض ودراسة ، د شوقي ضيف : دار المعارف ، ط٣ ، ص١٩ .

٢ أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، د أحمد مختار عمر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة٢٠٠٠ ، ص١١٦ .

٣ دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ، د أحمد مختار عمر : عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٦ ، ص١٢٦ .

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) {فصلت/١٦}، ومن آياتها ما يقرر مبدأ العدل كقوله . تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) فصلت:٣٤، وقوله . تعالى .: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) {فصلت/٤٦}، ومن آياتها ما يؤكد القدرة كقوله . تعالى .: (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) {فصلت/٢١}، وقوله . تعالى .: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) {فصلت/٣٩}، ومن آياتها ما يدل على الحكمة كقوله . تعالى .: (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) {فصلت/٤٢}، ومن آياتها ما يدل على العلم كقوله . تعالى .: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) فصلت:٤٠، ومنها ما يفيد الدلالة على البطش كقوله . تعالى .: (وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ) فصلت:٦، وقوله . تعالى .: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) {فصلت/١٣}، وهذا لون من ألوان التماسك الدلالي بمناسبة المطالع لما جاء في السورة الكريمة، وذلك من آليات الحبك"[١].

**سورة الزخرف:**

جاء ذكر اسم (الرحمن) في سبعة مواضع من سورة الزخرف؛ في قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) {الزخرف/١٧}، وقوله تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ {١٩} وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) {الزخرف/٢٠}، وقوله تعالى: (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا

١ حبك النص القرآني دراسة تطبيقية لمعايير علم اللغة النصي، د محمد عبد الحليم أبو عرب: مكتبة جزيرة الورد ومطبوعات دحروج ودار فنون، القاهرة، ط١، ٢٠٢١، ص١١٩.

يَظْهَرُونَ) {الزخرف/٣٣}، وقوله تعالى: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) {الزخرف/٣٦}، وقوله تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) {الزخرف/٤٥}، وقوله تعالى: (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) {الزخرف/٨١}.

في أولى آيات سورة الزخرف ورودًا لاسم الرحمن إشارة إلى معنى قرآني قد تكرر في آياته البينات، هو إنكار كفران المفترين والتعجب من افترائهم العظيم وبهتانهم المبين بنسبتهم لله تعالى صاحبة وولدًا، ثم بجعلهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، فيأتي اسم (الرحمن) لينكر عليهم افتراءهم، فكيف يضربون للرحمن مثلًا بما يكرهون أن يُبشروا به، فإذا بُشِروا به ظل وجه أحدهم مسودًا وهو كظيم؟!.

وتأتي الآيتان التاسعة عشرة والعشرون لتقرر تناقض أمر المفترين ويأتي اسم الرحمن في الآيتين موضحًا افتراءهم عليه سبحانه مع علمهم بأنه الإله الأعظم المهيمن على خلقه المدبر لأمر عباده، فقوله تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) يدل على أنهم يقولون قولًا عظيمًا ويفترون على الله بهتانًا مبينًا، وأنه ما كان ينبغي لهم أن يفتروا على الله تعالى ما لا علم لهم به.

ثم تأتي الآية التالية لتبين معرفتهم بأن الله تعالى الرحمن هو الإله الحق المستحق للعبادة وأنه تعالى مدبر الأمر، لكنهم اتخذوا ذلك الإيمان المنقوص سبيلًا لتبرير كفرهم، فقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم!، فكأن الآية ترد افتراءهم بأن الرحمن تعالى لا يخفى عليه كفرهم وبهتانهم.

أما الآية الثالثة والثلاثون، فيأتي قوله "لمن يكفر بالرحمن" إشعارًا بقبح فعلهم وعظم إجرامهم؛ إذ كيف يكفرون بالرحمن وهو خالقهم وواهبهم الحياة وهو الذي يميتهم ثم إليه يرجعون؟.

وفي الآية السادسة والثلاثين يأتي اسم الرحمن مستنكرًا غفلة الغافلين عن ذكره سبحانه، (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا)، وداعيًا إلى دوام ذكره جل شأنه.

أما الآية الخامسة والأربعون فتقضي بوحدانيته سبحانه وأن الرحمن علم لا يليق إلا بإله واحد هو الرحمن الرحيم، وأنه تعالى المعبود ولا معبود غيره، وأن العقل المعافى من السقم يشهد بوحدانيته تعالى في جميع الأزمان وكل العصور.

وفي الآية الحادية والثمانين تقرير لتفرد الإله الأعظم في صفاته فلا يشبهه أحد من خلقه وليس شأنه تعالى كشأن أحد ممن خلق، فليس له تعالى صاحبة ولا ولد ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

**سورة ق:**

ذُكر اسم (الرحمن) في سورة ق مرة واحدة في قوله تعالى: (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) {ق/٣٣}.

وفي هذه الآية تقرير لوجوب الإيمان بالرحمن جل شأنه وخشيته وإن لم تدركه الأبصار، لأنه تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، فلزم لمن علم ذلك أن يخشاه سبحانه بالغيب وأن يسلم وجهه إليه وأن يكون بين يدي الرحمن تعالى أواهًا منيبًا.

وأول السورة له إسهام في بيان دلالة الرحمن، إذ تتحدث السورة الكريمة عن بعض مظاهر القدرة الإلهية التي لا يؤمن بها إلا من آمن بالغيب، وبأن آيات الله تعالى في الكون دالة عليه وهادية للإيمان به سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى في أول السورة الكريمة: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ {٦} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {٧} تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ {٨} وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ {٩} وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ {١٠} رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ {ق/١١}.

فالرحمن هو الذي بنى السماء وزينها، ومد الأرض وألقى فيها رواسي وأنبت فيها من كل زوج بهيج، وهو الذي نزل من السماء ماءً مباركًا فأنبت به جنات وحب الحصيد ونخلًا لها طلع نضيد، وهو الذي يحيي البلدة الميتة، وكذلك يبعث عباده وينشئهم النشأة الآخرة؛ ذلك الرحمن كما تقرر السورة الكريمة في مفتتحها وفي ختامها.

**سورة الرحمن:**

ذُكِر اسم (الرحمن) مرة واحدة في سورة الرحمن في أولى آياتها وهي قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ) {الرحمن/١}.

ومجيء الرحمن في أول السورة مرفوعًا يسوغ القول بالابتداء وأن ما بعده إخبار عنه فتكون آيات السورة الكريمة إخبار وتبيين لمعنى الرحمن أو إجابة لسؤال: من الرحمن؟ فتدل آيات السورة على الرحمن؛ فالرحمن (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) {الرحمن/٢}، والرحمن (خَلَقَ الْإِنسَانَ {٣} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) {الرحمن/٤}، والرحمن خلق (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ {٦} وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) {الرحمن/٧}، والرحمن حكم وقضى (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ {٨} وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) {الرحمن/٩}، فالمفلح من استجاب فامتثل الأمر واجتنب النهي.

والرحمن (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ {١٤} وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) {الرحمن/١٥}، والرحمن (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) {الرحمن/١٧}، والرحمن (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {١٩} بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) {الرحمن/٢٠}، والرحمن هو الباقي فهو الأول وهو الآخر، يفني الخلق وهو باق لا يفنى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {٢٦} وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) {الرحمن/٢٧}، وتظل آيات سورة الرحمن دالة عليه وهادية إليه سبحانه وتعالى حتى آخر آياتها فيتوافق قول كل متدبر آياتها مع ختام السورة الكريمة بقوله تعالى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) {الرحمن/٧٨}.

**سورة الحشر:**

جاء اسم (الرحمن) مرة واحدة في سورة الحشر في قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) {الحشر/٢٢}.

وجاء ذكر (الرحمن) في تلك السورة الكريمة بين عدد من أسماء الله الحسنى، ولعلي لا أجاوز الحقيقة إن قلت إن تلك الأسماء الحسنى الواردة في هذا الموضع مفسرة لدلالة الرحمن أو هي دالة على الله الرحمن؛ وذلك لسبب ظاهر في البناء التركيبي الذي جاءت عليه الآيات الأخيرة من السورة الكريمة، ولننظر في تركيب الآيات ثم نزيد الأمر إيضاحًا:

قال تعالى: (هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {٢٢} هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّـلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيـزُ الْجَبَّـارُ الْمُتَكَبِّـرُ سُـبْحَانَ اللَّـهِ عَمَّـا يُشْـرِكُونَ {٢٣} هُـوَ اللَّـهُ الْخَـالِقُ الْبَـارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) {الحشر/٢٤}.

تلك هي الآيات التي ورد فيها بعض أسماء الله الحسنى في آخر سورة الحشر، ومنها اسمه (الرحمن)، فكيف إذن تفيد دلالة التركيب في الآيات أن أسماءه الحسنى الواردة فيها دالة على معنى (الرحمن)؟، ولسائل أن يسأل كذلك فيقول: ولِمَ لا يكون (الرحمن) دالًا على اسم آخر وارد في هذه الأسماء المذكورة في آخر السورة؟.

**والجواب عن ذلك يقتضينا إلى فك جمل هذا النص الكريم، على هذا النحو:**

هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

هُوَ اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّـلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيـزُ الْجَبَّـارُ الْمُتَكَبِّـرُ

سُبْحَانَ اللَّـهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

هُوَ اللَّـهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

الملاحظ في التركيب الإسنادي لجمل هذا النص أنه يرجع إلى مسند إليه ومسند معيَنَيْن وثابتَيْن، فلم يتعدد طرفا الإسناد في جميع تلك الجمل، ولكن تعددت صفات المسند (الخبر)، فالمسند إليه (المبتدأ) في جميع هذه الجمل واحد هو الضمير (هو) الذي تكرر في صدر كل جملة مخبِرة عن (الله) تعالى. والمسند (الخبر) في جميعها إما أن يكون لفظ الجلالة (الله) وبعده صفات كقوله: اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ، وقوله: اللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، وقوله: اللَّـهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ.

أو يكون المسند اسمه (الرحمن) وبعده صفته، كقوله: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فلم يأت اسمه (الرحمن) صفة كما جاءت أسماؤه (الرحيم / الملك / القدوس / السلام / المؤمن / المهيمن / العزيز / الجبار / المتكبر / الخالق / البارئ / المصور / الحكيم).

فجميع أسمائه الواردة في آخر السورة صفات أو نعوت، وليست أحد طرفي الإسناد في الجملة، بل هي تابعة للمسند (الخبر)، إلا لفظين لم يأتيا تابعين، بل وردا متبوعين؛ هما: (الله / الرحمن).

فأفاد التركيب أن أسماءه (الرحيم / الملك / القدوس / السلام / المؤمن / المهيمن / العزيز / الجبار / المتكبر / الخالق / البارئ / المصور / الحكيم)، صفات لاسمين علمَيْن عليه سبحانه وتعالى، هما: (الله / الرحمن). وهو ما يفيد بالضرورة أن اسمه (الرحمن) كلفظ الجلالة (الله) في الدلالة على جميع صفات الله سبحانه وتعالى.

وإن يقل قائل: إذا دل كون اسمه (الرحمن) أحد طرفي الإسناد على أنه كلفظ الجلالة فيما يدل عليه، فإن ذلك متحقق في اسمه (العزيز) الذي ورد مسندًا (خبرًا) في آخر جمل السورة الكريمة؛ فإن الجواب عن ذلك بأمرين؛ أحدهما: أن (العزيز) ورد صفةً أو نعتًا من النعوت قبل أن يأتي خبرًا، وذلك في قوله: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ **الْعَزِيزُ** الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ)، أما (الرحمن) فلم يأت نعتًا في جملة من هذه الجمل.

والآخر: أن الجملة التي جاء فيها (العزيز) مسندًا، جاءت تعقيبًا على ما تقرر من صفاته تعالى، إذ دل قوله قبلها (لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى) على تتمة الحديث عن أسمائه، كما دلت الواو قبل الضمير في قوله (وهو العزيز الحكيم) على احتمال دلالتين؛ دلالة الحال إذا عُدت الواوُ واوَ الحال، فتكون الجملة كلها حالًا، والحال قريب في الرتبة من الصفة، وهما أدنى رتبة من المسند، أو تكون الواو للاستئناف، وهذا يؤكد تمام الكلام قبله، وهو نفسه ما يدل عليه قوله (له الأسماء الحسنى). واسمه (العزيز) في الكلام الذي تم جاء من قبلُ نعتًا. ففي كل ذلك دليل على أن التركيب يعطي لاسم (الرحمن) دلالة لفظ الجلالة من غير أن يشترك مع (الرحمن) اسم غيره فيما يمكن أن نسميه اتساع الدلالة.

**سورة الملك:**

ورد ذكر اسم الرحمن في سورة الملك أربع مرات؛ في قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ) {الملك/٣}، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ {١٩} أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) {الملك/٢٠}، وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) {الملك/٢٩}.

ولعل لاسم السورة ومطلعها علاقة وثقى باسم (الرحمن)، إذ تبدأ بقوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) {الملك/١}، فإن من دلالات (الرحمن) مالك الملك، ومن معانيها كذلك الدلالة على القدرة . كما تقرر من قبل في أكثر مواضعها ..

وفي آيات السورة الكريمة دلالة على أن (الرحمن) هو المحيي وهو المميت، دل على ذلك قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) {الملك/٢}.

وآيات سورة الملك تدل على أن (الرحمن) هو الخالق البديع الذي أحسن كل شيء خلقه، دل على ذلك قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ {٤} وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) الملك/٥، وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) {الملك/١٩}، وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) {الملك/٢٣}.

وتدل آيات السورة الكريمة كذلك على أن (الرحمن) هو العليم، كما في قوله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) {الملك/١٤}، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) {الملك/٢٦}.

وتدل على أن (الرحمن) هو المنعم وهو الرزاق، جاء ذلك في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) {الملك/١٥}، وقوله تعالى: (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) {الملك/٢١}.

وتدل آياتها على أن (الرحمن) هو الوكيل، كما يفيد قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا) الملك/٢٩.

**سورة النبأ:**

ذُكِر اسم (الرحمن) في سورة النبأ مرتين؛ في قوله تعالى: (رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا {٣٧} يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا) {النبأ/٣٨}.

وآيات سورة النبأ تقرر كثيرًا مما جاء في السور التي ورد فيها اسم الرحمن؛ ففي آياتها قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا {٦} وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا {٧} وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا {٨} وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا {٩} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا {١٠} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا {١١} وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا {١٢} وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا {١٣} وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا {١٤} لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا {١٥} وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) {النبأ/١٦}. وهي آيات بينات تدل على أن (الرحمن) هو الخالق البديع المصوِّر.

وتدل آيات سورة النبأ على أن إلى (الرحمن) المرجع والمصير، كما في قوله تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا {١٧} يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا) {النبأ/١٨}.

وعند (الرحمن) علم كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، دل على ذلك قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا) {النبأ/٢٩}.

والرحمن هو الحكم العدل، يدل على هذا المعنى قوله تعالى: (جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا) {النبأ/٣٦}.

**المبحث الثالث: من أسرار اختيار اسم (الرحمن) في سياقاته المختلفة:**

بعد تتبع مواطن ذكر الرحمن تجدر الإشارة إلى دلالة الرحمن على معانيه من خلال سياقاته التي ورد فيه، كمجيئه في سياق الحديث عن الوحدانية أو الحديث عن الإنعام أو الحديث عن دلائل القدرة، على نحو يبين بعض أسرار اختيار اسم الرحمن في كل سياق من سياقاته التي ورد فيها، إذ تبين مما سبق أن اسم الرحمن جاء في سياقات متعددة في القرآن تسهم في بيان دلالته، على النحو التالي:

**في سياق الوحدانية:**

جاء لفظ (الرحمن) في الحديث عن وحدانية الله تعالى كما في سورة الفاتحة، وآية سورة البقرة: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) {البقرة/١٦٣}. وفي آية سورة الإسراء: (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ) الإسراء/١١٠، وفي آية سورة طه: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) {طه/٥}، وفي ذلك بيان لدلالة الرحمن على معنى الألوهية وارتباط اسم الرحمن بالوحدانية.

**في سياق دلائل القدرة:**

جاء ذكر اسم (الرحمن) في سياق الحديث عن دلائل القدرة كما في آية سورة الأنبياء: (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ) {الأنبياء/٤٢}، وآية سورة الملك: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ) {الملك/٣}، وفيه دليل على أن الرحمن على كل شيء قدير.

**في سياق العلم والحكمة:**

جاءت الرحمن دالة على العلم في قوله تعالى في سورة الحشر: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {الحشر/٢٢}، ليتأكد أن علمه مقترن برحمته وأن الرحمة منه ملازمة لعلمه بأحوال عباده.

**في سياق العدل والحكم:**

جاء الرحمن دالًا على العدل في قوله تعالى في سورة الأنبياء: (قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) {الأنبياء/١١٢}، وفيه دليل على أن عدله تعالى محفوف برحمته.

**في سياق النعيم:**

وجاء الرحمن في سياق الحديث عن النعيم كما في قوله في سورة مريم: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) {مريم/٨٥}، وفيه دلالة على أنهم قد استحقوا النعيم برحمة الله لا بأعمالهم كما تأكد هذا المعنى في نصوص أخرى.

**في سياق العذاب:**

جاء ذكر الرحمن مع العذاب في الدنيا، فيعد من باب الاستدراج بالنِّعم، كقوله تعالى :﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ مريم: ٧٥، وكقوله تعالى :﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ الزخرف: ٣٣، وهذا كلُّه عذاب في الدنيا.

وجاء ذكر الرحمن مع ذكر عذاب الآخرة، كما في قوله تعالى في سورة مريم: (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) {مريم/٤٥}، وفيه إشارة إلى أنَّ العصيان يقتضي العذاب ممن هو موصوف بالرحمة الكاملة؛ فإنَّ كمال الرحمة على المطيعين لا ينافي الغضب على العاصين؛ إذ لو كان فيهم موجب للرحمة، لرَحِمهم.

## خاتمة

لعل في هذا البحث بيان لخصوصية اسم (الرحمن) من خلال ما يلي:

تؤكد مواضع مجيء اسم الرحمن في القرآن الكريم وسياقاتها أن لها دلالات تكاد تتأكد في كل سياق وردت فيه؛ إذ جاء الرحمن كما اتضح دالًا على:

- الإله الأعظم المستحق للعبادة المتفرد بصفات الكمال الذي لا يشبه أحدًا من خلقه ولا يشبهه أحد من خلقه، فليس كمثله شيء.
- وأنه تعالى هو الهادي إلى الصراط المستقيم العاصم من الزلل والضلال.
- وأنه سبحانه الحكيم الذي يدبر الأمر ويفصل الآيات والمهيمن الذي لا يجري في ملكه غير ما أراد والعدل الذي لا يظلم أحدًا.
- وهو القوي العزيز الذي لا يُقهر ولا يُغلب.
- وهو الفرد الصمد الذي يحتاج جميع خلقه إليه ولا يحتاج إلى أحد من خلقه.
- وأن الرحمن هو الاسم العلم الذي لا يليق لأحد أن يتسمى به إلا الله تعالى.
- وأن الرحمن منزل الكتاب وهو تعالى الهادي إلى الرشاد، وإليه سبحانه المرجع والمآب.

اختصاص اسم الرحمن بالدلالة على تلك المعاني جميعها، ولم يكن ذلك لاسم من أسماء الله الحسنى غير اسمه الرحمن؛ فالغفار لا يمكن أن يدل على الانتقام أو على البطش الشديد مثلًا، ولا يدل اسمه العدل على معنى المتكبر، ولا يفيد اسمه الرحيم معنى مالك الملك، وهكذا يدل كل اسم من أسمائه تعالى على معنى يصدق عليه من غير أن يصدق بالضرورة على معان أخرى، بخلاف دلالة اسمه الرحمن التي تتسع لتشمل كل ما يؤكده سياقها كما تبيّن.

وبعد،، فما وفق الله تعالى إليه وهدى، فمنّة من الله وفضل، وما جاء في هذا البحث من خطأ أو سهو فذلك قضاء الله على العباد بالنقص الذي يليق ببني آدم، وأسال الله أن يتقبل ما هو منه من توفيق، وأن يعفو عما هو مني من الزلل.

## المراجع

**د أحمد مختار عمر :**

أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة٢٠٠٠

دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٦

**الألوسي:**

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: د السيد محمد السيد، وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦. ٢٠٠٥.

**بيير جيرو:**

الأسلوبية، ترجمة د منذر عياشي، دار أمل الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠٢٠

**د شوقي ضيف :**

سورة الرحمن وسور قصار عرض ودراسة ، دار المعارف ، ط٣.

**القرطبي:**

الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د محمد إبراهيم الحفناوي، د محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣١. ٢٠١٠.

**د محمد عبد الحليم أبو عرب:**

حبك النص القرآني دراسة تطبيقية لمعايير علم اللغة النصي، مكتبة جزيرة الورد ومطبوعات دحروج ودار فنون، القاهرة، ط١، ٢٠٢١

**د منذر عياشي:**

الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى، دمشق، ط١، ٢٠١٥

السيمياء (السيمولوجيا) قراءة في العلامة اللغوية العربية، دار أمل الجديدة، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٨.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ملخص البحث | ٢٦٣٥ |
| المقدمة | ٢٦٣٧ |
| التمهيد | ٢٦٣٨ |
| المبحث الأول: أثر السياق في فهم الدلالة القرآنية | ٢٦٣٩ |
| المبحث الثاني: مواطن ذكر (الرحمن) في القرآن | ٢٦٤٢ |
| المبحث الثالث: من أسرار اختيار اسم (الرحمن) في سياقاته المختلفة | ٢٦٦٩ |
| الخاتمة | ٢٦٧١ |
| المراجع | ٢٦٧٢ |
| الفهرس | ٢٦٧٣ |